حرق الميت

العرب أول من أعلن (بقاء المادة)

Conservation de la matière

لأســـتاذ جليل

وصى (مكدونالد) الانجليزى الاسكتلندى من رؤساء الوزراء السابقين فى بلاد البريطانيين قومه أن يحرقوه إذا هلك فاحرقوه فى هذا اليوم. وحرقُ الميت طريقة هندية برهمية، وقد زينها (المعرى) فى (اللزوميات) للناس، فقال الخبيث — جزاه الله جزاءه — :

فاعجب لتحريق أهل الهند ميتهم
وذاك أروح من طول التباريح
إن حرّقوه فما يخشون من ضبع
تسري إليه ولا خَفْيٍ وتطريح[1]
والنار أطيب من كافور ميتنا غبّا وأذهب للنكراء والريح[2]

ومن أجل هذا وغيره اتهم الرجل بالتبرهم، ففي (لسان الميزان) لابن حجر: «من عجيب رأى أبي العلاء تركه كل مأكول لا تنبته الأرض شفقة على الحيوانات حتى نسب إلى التبرهم»

والبرهمي يتقرب بالحرق إلى الله. وقد يحرق بعضهم نفسه (جسمه) بنفسه وهو حى متفننا فى إحراقه، فقد قال (البديع) فى إحدى رسائله:

«وربما عمد أحدهم — يعنى الهنود — فاتخذ لرأسه من الطين إكليلا، ثم قوّر قحفه[3] فحشاه فتيلاً، ثم أضرم فى الفتيل ناراً ولم يتأوه، والنار تحطمه عضواً فعضوا»

وغير البرهمى إنما يقرب بالحرق من الله — وهل من الله (ياغر) مفر — ففى (الفائق) للزمخشرى: «أن رجلا رَغَسه[4] الله مالا وولداً حتى ذهب عصر وجاء عصر، فلما حضرته الوفاة قال: أى بنىّ، أىّ أب كنت لكم؟

قالوا: خيرَ أب

قال: فهل أنتم مطيعىّ؟

قالوا: نعم

قال: إذا مت فحرقونى حتى تدعونى فحما، ثم اهرسونى بالمهراس، ثم اذرونى فى البحر فى يوم ريح، لعلى أضلّ الله[1]»

وهيهات أن يضلّ الله، أن يفوت الله هارب من عذابه «أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا، ساء ما يحكمون»

وهيهات أن يضمحل فى الوجود شىء؛ إن (الكتاب) يقول: «أينما تكونوا يأت بكم الله جميعاً، إن الله على كل شىء قدير» «يا بُنَىّ إن تكُ مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة أو فى السموات أو فى الأرض يأت بها الله إن الله لطيف خبير» والعلم العربى قد أعلن (بقاء المادة) ونادى أن لا تلاشي[2] للأشياء. قال عبد الحميد بن هبة الله فى كتاب شرحه لنهج البلاغة: «إنا نرى الحيوانات الميتة إذا دفنت فى الأرض تنقص أجسامها، وكذلك الأشجار المدفونة فى الأرض؛ على أن التحقيق أن المحترق بالنار والبالى بالتراب لم تعدم أجزاؤه، وإنما استحالت إلى صور أخرى»

ذلك قول الله، وقوله الحق. وهذا قول العلم العربى المثبت بالعلم الغربى[3] فلن يضل الله محروق أو غريق أو مُفَرْفَر[4] فى النيل مأكول، ولن يضيع فى العالم ضائع، ولن يعدم فى الوجود كائن. إن الطبيعة خزانة الله حافظة أمينة «وكان الله بكل شىء محيطا»

«فويلٌ للذين ظلموا من عذاب يوم أليم»

الاسكندرية (***)

---

(١) خفى الشىء الخفى واختفاه: أخرجه (الأساس) المختفى النباش لاستخراجه أكفان الموتى (اللسان)

(٢) النكراء: النكر، النكر، الشدة، وربما أراد (النكرة) وهى مايخرج من الخراج من دم أو قيح كالصديد

(٣) القحف: العظم فوق الدماغ

(٤) رغسه الله مالا وولداً: أكثر له منهما وبارك له فيهما، والرغس السعة فى النعمة والبركة والنماء (النهاية) وحق (مالا وولداً) أن يكون انتصابهما على التمييز (الزمخشرى)

(١) أضل الله: أفوته ويخفى عليه مكانى (النهاية) ضلنى فلان فلم أقدر عليه أى ذهب عنى (الزمخشرى)

(٢) تلاشى الشىء: اضمحل (التاج) واللفظة مولدة، وهى من (لاشىء) والتلاشى فى كلام العلماء والأدباء من المولدين لكثير، وفى (نهج البلاغة): «وما تلاشت عنه بروق الغمام»

(٣) أظهر (Lavoisier) مقالته فى (بقاء المادة) منذ (١٤٨) سنة وابن أبى الحديد توفى سنة (٦٥٦) أى منذ (٧٠٠) سنة

(٤) فرفر: مزقه، والفرفر الأسد لتمزيقه الفريسة